مجلة التكامل في بحوث العلوم الاجتماعية والرياضية
المجلد: (5) العدد: (1) جوان 2021
ص: 131-146 /ISSN 2716-9391

الإنسان: أهو كائن مفكر أم فاعل

The human: is he a thinker or a subject

فاطمة المومني [1] *

فاطمة المومني [1] * المعهد العالي لتربية و علوم الاجتماعية قفصه

،تونس،fatma.moumni@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 29/ 2021/05؛ تاريخ القبول: 08/ 2021/06؛ تاريخ النشر: 30/ 2021/06

ملخص

سؤال "ما الإنسان؟" أو السؤال عن الإنسان من هو، سؤال ماهوي يبحث في ماهية الإنسان. إذ يبدو إن الخطاب حول علوم الإنسان هو خطاب يخرج الإنسان من ثلاث دوائر مختلفة باعتباره "اختراعا حديثا" (فوكو) يصير موضوع علم (الإنسان في تضاد مع الطبيعة) هذا من جهة ومن جهة أخرى بوصفه فاعلا في العلم (الإنسان محل الإله) إذن هناك تأرجح في العلوم الإنسانية بين الذات الفاعلة في العلم والمحاولة في بناء الموضوع الانثروبولوجي.

كلمات المفتاحية: الإنسان- مفكر-فاعل-الإنسانية- فلسفة الفعل- فلسفة الإنسان

Abstract The question "What is a human?" Or the question about who a human is, this question that examines what a human is. It seems that the discourse on the sciences of man is a discourse that brings people out of three different circles as a "modern invention" (Foucault) that becomes the object of science (man is in opposition to nature) on the one hand and on the other hand as a subject in science (man is in place of God) then there is In the human sciences, a swing between the subject active in science and the attempt to construct the anthropological topic.

Key words: Human - Thinker - Subject - Humanity - Philosophy of Action - Philosophy of Man

* المؤلف المرسل: فاطمة المومني: fatma.moumni@yahoo.fr

1. مقدمة :

أن الوعي المفاجئ برتابة الزمن ورجات الحياة وصدماتها مبعث للتفلسف إذ لا يخلو التفلسف من عنصر الإثارة الفكرية والقلق المعرفي والتوتر الوجودي ولا يقتصر على إحصاء المنظومات الفلسفية نفسها التي ظهرت عبر التاريخ وان كانت الفلسفة نفسها أطروحات ومقاربات ومذاهب وانساق وكان البحث عن الحقيقة وحب الحكمة وتشريع القيمة وإضفاء المعنى هو ما يجمع بينهما فإن هاجس الفلسفة هو إثارة المشاكل وبناء المسائل وإبداع الأجوبة.

إن كان مطلب التفلسف مطلبا متأصلا في الإنسان، وكان الإنسان هو الذي يعنيه التفلسف من جهة كونه المقصود بهذا المطلب والقاصد إليه، واللافت للنظر إن الكائن الإنساني يجد في ذاته مصدر تفكيره الفلسفي وان التفلسف ينبثق من المصدر الأصلي للأنا ومن معايشته لتجارب قصوى ووضعيات عبثية، ويسمح للوجود الإنساني باجتياز سجن الأحكام المسبقة ويصبح الفيلسوف هو الإنسان المتأمل الذي يثير القلق في صميم طمأنينة العالم ويتطلع إلى الوجود بأسره ويستوعب الأزمنة كلها. ولأن التفلسف مرتبط بتفكير الإنسان والاستغناء عنه يعني الاستغناء عن التفكير وهذا لا يصح، لأن الفلسفة تفكير بالأساس. بهذا شكل فإن الفلسفة كتفكير كثيرا ما ساهمت في تغيير أوضاع الإنسان لان فعل التفلسف هو الذي يحرك النشاط الفكري عند الإنسان ليتناول بالدرس والتحليل جملة من المفاهيم.

لكن العزم النظري الأهم الذي يحرك سؤالنا الآن هو أن نقف على حروف الإشكالي التالي: ما حلتنا اليوم أن نسأل عن إنسان يفكر إنسان يتأرجح

بين تحديات الواقع وبين عالم جديد من حوله, هذا الإنسان هو الإنسان العربي الذي همنا في هذا المبحث، الإنسان الذي يتوق للحرية، ويدعوا للإصلاح, فكيف السبيل نحو خلق فهم جديد للإنسان, نحو تأسيس إنسان عربي فاعل؟

2. الإنســان: أ هو كائن مفكــر أم فاعــل؟

1.2 الإنسان ذات مفكرة :

سؤال الفلسفة بالجملة وطرائق التفلسف بخاصة غاية نخلص في نهايتها إلى تقييد العنصر الفلسفي تقييدا جوانيا هذا التقييد سيسمح لنا أن نقف على صورة التفلسف في حد ذاته" Le je pense" و من ثمة فان من أولى اهتمامات الفلسفة هو السعي إلى تكوين رؤية للإنسان. فالإنسان شكلى القطب المزدوج للتفكير الفلسفي وان يحضر الإنسان في العالم فهو يحضر ضمن أفق مفتوح من الدلالات والمعاني التي تتشكل كحقول دلالية وكرؤى متنوعة للعالم. فغموض العالم والخوف من هذا الغموض دفع الإنسان للبحث عن القوى الخفية المتحكمة في الكون بحيث يهب الإنسان معنى للعالم ويحوله إلى منظومات رمزية تعبر عن نمط تمثل الإنسان والعالم ولا تكون بالضرورة مطابقة للعالم في حد ذاته: أليست الفلسفة هي التي عينت لنفسها مهمة النظر في منزلة الإنسان.

بحيث تأسست فلسفة الوعي عن فرضية أن الإنسان معادلة لعقله و شعوره أي المتمثل لذلته و للعالم الخارجي و بصفة عامة فإن التساؤل عن الوعي و اللاوعي هو تساءل عن ماهية الإنسان و بالتحديد عن ذاتيته إن كانت جوهرا خالصا أو حقل قوى متصارعة. لقد انبتت الفلسفات منذ أفلاطون و صولا إلى هيجل على مفهوم الوعي أو مفهوم الذاتية بحيث عرفت كذات واعية

متجوهرة و متعالية إي "ك كوجيتو" لكن هذه الذاتية لم تستمر نظرا لظهور الفرويدية التي أدت الى تفكيك الذات الإنسانية فالذات مع فرويد تفككت و انقسمت إلى ثلات:

- ✓ الوعي
- ✓ ما قبل الوعي
- ✓ اللاوعي

فإذا كان الإنسان قد أطرد من الأرض مع "كوبرنيك" و أطرد من "التاريخ" مع "داروين" فإنه أطرد من ذاته مع "فرويد", بحيث قام هذا الأخير بوصف اللاوعي بمنطقة المكبوت التي تفلت من طائلة الوعي إذ قسم هذا الجهاز إلى منظمات منها:

- ✓ الهو
- ✓ الأنا الأعلى
- ✓ الأنا

فالهو و الأنا الأعلى كمنظمتان لاشعوريتان و الأنا كمنظمة شعورية منفرده فالهو ترجمان للدوافع الغريزية و الأنا الأعلى يكون المجتمع و ما يتضمنه من أوامر و نواهي. فيصبحان بالتالي في صراع دائم مع الهو فيتقدم الأنا كحل وسط لحل هذا النزاع و من هنا يكون الوعي حسب فرويد نتاجا للاوعي الموظف لفهم الأعمال الفنية ذلك أن تجربة الفنان بالأساس تجربة لاواعية.

لقد تبين لنا أن الفلسفة كانت تحيا في و هم اعتبار الإنسان و عيا و إرادة و فاعلية و قدرة على خلق المعنى إلا أن هذه الصورة بدأت تنهار بفعل عملية إلغاء الذات و لكن إذا كان الوعي حركية تاريخية متجددة و منفتحة فهل يعني هذا أن الإنسان ليس له ماهية جوهرية ثابتة, بمعنى أن الإنسانية متجددة أو هي مشروع يتحقق باستمرار؟

يبدو الإنسان موضوع ملازم للفكر الفلسفي يقول غرامشي:« السؤال عن الإنسان من هو، هو السؤال الأول السؤال الأساسي في الفلسفة». التفكير في الإنسان تزامن وتطابق مع التفكير الفلسفي وهو ما أكد عليه سقراط بنفسه من خلال قوله:« ولكن أي شئ أجمل من أن ندرس ما يجب أن يكون عليه الإنسان».

يبدو أن التفكير في الإنسان بدأ مع الفيلسوف كانط فهو الذي طرح سؤال "ما الإنسان؟" في كتابه "المنطق" واعتبره السؤال المحوري الذي يختزل الأسئلة الفرعية: «يرد مجال الفلسفة الى أربعة أسئلة تغطيها أربعة بحوث».

ماذا يمكنني أن أعرف؟ (الميتافيزيقا).

ماذا يجب علي أن أفعل؟ (الأخلاق).

ما الذي يجوز لي أن آمل؟ (الدين).

ما الإنسان؟ (الانثروبولوجيا).

غير أنه يمكننا أن نرد كل ذلك إلى الأنتروبولوجيا طالما أن الأسئلة الثلاثة الأولى ترجع إلى السؤال الأخير ما الإنسان؟» (كانط, ,1970, ص10). هذه الأسئلة تكررت في كتاب *نقد العقل المحض* حيث يضيف كانط أنها تعكس مجمل اهتمامات العقل النظري والعملي على حد سوى. بحيث يعتبر أن سؤال "ما الإنسان"؟ هو السؤال المركزي الذي تتفرع عنه بقية الأسئلة، علما بأن الفلسفة هي خطاب حول الإنسان ككائن عاقل وحول فعالياته النظرية وفعالياته العملية ومصيره.

غير أنه ثمة قراءة أخرى تعتبر أن الإنسان اكتشاف حديث وبالتحديد من اكتشافات القرن التاسع عشر، وهي قراءة فوكو والقصد يكون الإنسان هو اكتشاف حديث هو كون الإنسان تحول إلى موضوع في حقل المعارف العلمية سواء منها البيولوجية أو العلوم الإنسانية أو على مستوى المعارف الفلسفية المواكبة للتحولات العلمية. سواء منها البيولوجية أو العلوم الإنسانية أو على مستوى المعارف الفلسفية المواكبة للتحولات العلمية.

إن الحديث عن العلوم الإنسانية يدخلنا في فضاء جدلي أو سجالي فالمسألة هنا لا تتعلق بالوصل بينها بل أن تتحرك داخلها بشئ من الانسجام والتبرير. إن الخطاب حول علوم الإنسان هو خطاب يخرج الإنسان من ثلاث دوائر مختلفة باعتباره "اختراعا حديثا" (فوكو) يصير موضوع علم (الإنسان في تضاد مع الطبيعة) هذا من جهة ومن جهة أخرى بوصفه فاعلا في العلم (الإنسان محل الإله). إذن هناك تأرجح في العلوم الإنسانية بين الذات الفاعلة في العلم والمحاولة في بناء الموضوع الانثروبولوجي.

الإنسان وكما عرفته الفلسفات التقليدية هو ذلك الكائن الجوهر المفكر الواعي أو هو ماهية مجردة ثانية مطلقة ومحددة سلفا خارج كل علاقة بالواقع الطبيعي أو الاجتماعي. بهكذا شكل، نجد تشابه بين الإبراهيمي وسان سيمون حين يعتبر أنّ من خصوصيّات مجتمع ما هو الذي يسعى لتدبير شؤونه و"إدارة الإنتاج"؛ بمعنى تحقيق مصلحته، فيمنح الجميع حقوقهم، فلا فرق بين فيئآت المجتمع. فما كان يأمل به سان سيمون هو "التبشير بالفلسفة الوضعية" لأنها الضامنة من أجل التنظيم العقلي لحياة البشر.

يصبح الإنسان هو "الموضوع"، فيتحول من صانع المعرفة إلى موضوع هذه المعرفة. بمعنى من كونه قد حقق سيادته على الطبيعة يحقق الآن سيادته على ذاته بدراستها. والتساؤل الذي يطرح هنا كيف يمكن له أن يكون ذاتا و موضوعا؟ قد أشار أوقيست كونت عن إشكالية التداخل بين الذات والموضوع

في كتاب "الفلسفة الوضعية" يقول: « فالفرد المفكر لا يمكنه أن ينشطر شطرين أحدهما يفكر والأخر يشاهد التفكير» (القولة مستمدة من نص بالكتاب المدرسي للفلسفة طبعة 1988).
إن تبلور معرفة علمية حول الإنسان أدت إلى ولادة مجالات تهتم بمعرفته معرفة علمية وهي علم البيولوجيا (بمختلف مكوناته) وعلم الاقتصاد من خلال واقع المجتمع ثم علم اللغة باعتبارها الميزة أو الخاصية الأساسية للإنسان (ديكارت). وهذه العلوم لها مكانة في العلوم الإنسانية.

وقد امتدت هذه النزعة الوضعية لتشمل مجال علم النفس السلوكي الذي يقوم بدراسة النشاط الإنساني الذي تظهر في حركات و أفعال وردود أفعال قابلة للملاحظة الخارجية. إن هذه الأمثلة تبرز تأثير العلوم الطبيعية في تحديد موضوع العلوم الإنسانية و مهما يكن من درجة علمية هذه النماذج في مجالات بحثها الخاصة فإننا عندما نحاول تطبيقها على الظواهر الإنسانية نصطدم في معطيات مادية إذ تتداخل في تكوينها عوامل نفسية واجتماعية واقتصادية.

لقد كرس تاريخ الفلسفة استقلالية الإنسان عن الطبيعة وعن العالم إلى الحد الذي جعل ديكارت مثلا يقر بوجوده اعتمادا على الفكر أي دون الحاجة إلى إثبات وجود الجسم ووجود العالم مع الأخذ بعين الاعتبار الإقرار الديكارتي بكون الوجود الإنساني مدينا إلى الإله لكون سيثبت وجود الإله في "التأمل الثالث" وباعتبار كون الإله هو الضامن للمعرفة. فالفيلسوف ديكارت هو أول من دعا إلى تحرر الإنسان والى ضرورة سيادته على الطبيعة ويبدو أن هيجل نفسه ينظر إلى الإنسان ككائن مستقل عن الطبيعة فهو يميز بين ملكة الطبيعة وملكة الإنسان إلى الحد الذي يعتبر فيه أن مملكة الطبيعة هي مملكة الحرية.

أراد هيوم تأسيس علم جديد هو "علم الطبيعة الإنسانية"، وقد أراد أن يجعل هذا العلم أساساً لكل العلوم مثل الرياضيات والطبيعة والدين والأخلاق، وكان يهدف بذلك إلى الدقة العلمية التي حازتها العلوم الطبيعية في مجال الموضوعات الأخلاقية، وباقترابه من المنهج التجريبي في تشريح النفس البشرية يفعل كما يفعل الطبيب يرى في الجسد الإنساني مجموعة من الأعضاء والأنسجة التي تعمل بها أجهزةالجسم. شرع هيوم يدرس سلوك الإنسان وما يكشفه لنا من أحاسيس وانفعالات، فدراسة الدوافع الأساسية للسلوك البشري سينتهي بنا حتماإلى الانفعال والعاطفة، و في نظره هيوم أن العقل لا يمكن أن يشكل دافعاً للسلوك ولا مركزاللإرادة أو القرار بل أن العقل لدى هيوم هو ملكة خادمة للانفعالات والأحاسيس، والعقل البشري لا يعرف الحدود الأخلاقية ولا يفرق بين الرذيلة والفضيلة أو الخير والشر إلا بمقدار تأثر الإنسان من هذا الحدث أو ذاك. ومن خلال فحصه لظروف الأخلاقيات عند البشر؛ وجد أن الناس جميعاً يمتلكون رغبة طيبة أو عاطفة خيرة، أما الأخلاق فهي نسبية ويحددها البشر وفقًا لما هو نافع لهم.

تعتبر فلسفة هيوم آلية تجريبية، تدرس الإنسان كمجموعة من الأجهزة والوظائف، فهي تسلخ الإنسان من كل عاطفة مقدسة ومن كل فكر خلاق يسمو به، وهي غير مسؤولة عن إيجاد حلول لمعضلته الوجودية، أما عن ماهية الإنسان في هذا العالم فكان يرى في الإنسان كائنا دائم البحث عن اللذة، يتجنب الألم قدر الإمكان، ويجلب المنفعة أنى أتيحت له.

إن النظر إلى تأسيس "علم الإنسان" أدى بهيوم إلى البحث في الطبيعة البشرية بوجه عام و كانت تمثل نقطة بداية في مبحثه في نطاق الفهم البشري و

في مهارات الإنسان الذهنية و الحدود التي لا تتعداها (رسل,حكمة الغرب, ص99). و إذا كان علم الطبيعة البشرية هو مركز العلوم فمن المؤكد أن ينشأ علم الإنسان و يكون على أساس المنهج التجريبي فحسب هيوم في كتابه "مبحث في الطبيعة البشرية":«(.....) و لما كان علم الإنسان هو الأساس الوحيد الصلب لبقية العلوم الأخرى, فان كذلك لابد أن يكون الأساس الوحيد الصلب الذي نستطيع أن نقيم عليه علم الإنسان هو الملاحظة و التجربة» (هيوم, مبحث في الطبيعة البشرية, مقدمة, صxx)[1].

من ثمة تأكيد على أن كل معرفتنا يجب أن تكون داخل التجربة بحيث سمى هيوم ذلك بالمنهج التجريبي الذي نجح في تطبيقه, و في دراسة الإنسان أيضا لذلك يتراء لهيوم أن نفسر مبادئ الطبيعة البشرية يستلزم اختيار الذهن لاكتشاف مبادئه.

2.2 نحو إنسان فاعل:

اقتضى تأسيس معرفة علمية بالإنسان و التفكير في إقامة مجالات معرفية متمايزة يختص كل واحد منها بدراسة أحد جوانب الظاهرة الإنسانية: النفسي، الاجتماعي، التاريخي و الاقتصادي. فالإنسان هو:« عبارة عن شئ مادي، وكائن حي، وبؤرة نشاط عقلي في وقت واحد»(ألكيس كاريل, ص 358). نحن الآن أمام إنسان يتأرجح بين تحديات الواقع وبين عالم جديد يحلم بتحقيقه.

و نظرا لعمق مسألة الإنسان في علاقته بالأخر فتظهر لنا أن المجال العلمي و القيمي هو المحدد لهذه العلاقات سواء كانت علاقات صداميه أو

[1] «And as the science of the man is the only solid foundation for the other sciences, so the only solid foundation we can give to the science itself must be laid on experience and observation».

علاقات مصالحة. أية علاقة تربط بين الإنسان والقيم؟ وأي إنسان هذا الذي تقوم حياته على أساس قيمي؟ هل هو الإنسان الفاعل المريد أم هو الإنسان الخاضع التابع؟ هل هو الإنسان في جوهره كما يجب أن يكون أم هو الإنسان المتواجد في التاريخ بتنويعاته وتناقضاته؟ و هل أن السؤال عن الأول يلغي السؤال عن الثاني أم هو يستلزم ويعقد وجوده ويطرح رهان تحرره مما هو كائن؟

لقد آمن الإنسان بأن مصير الإنسان بيد الإنسان وأن الذات الإنسانية ليس لها خيار سوى تأسيس وجودها النوعي. وهذا الإنسان حضوره في العالم وفي المجتمع يستلزم منه تكيفا اجتماعيا آليته الأساسية مبدأ الأخلاق. فالسؤال عن علاقة الإنسان بالأخر هو البحث عن كيفية تطبيق المفاهيم الأخلاقية وكيف نبرر ممارستها؟

إن الإنسان عاجز عن العيش بشكل منعزل بعيد عن الجماعة وهذا ما دفع به إلى العيش داخل المجتمع بفضل روح الترابط الاجتماعي، وهي خاصية جوهرية يتميز بها الإنسان عن باقي الأنواع الأخرى، كما يتميز الكائن البشري بالاهتمام المتبادل ببعضه البعض والاعتمادية الهائلة على بعضه البعض مما جعل مجتمعه قابلا للتغير بشكل مستمر والدليل على ذالك قدرة الإنسان على خلق مجتمعات متنوعة الأشكال وشديدة التعقيد. إن التشبث بالهوية والخصوصية والمحلية، لا يعني الانغلاق والتقوقع، فمعظم المجتمعات تعمل على الانفتاح على الثقافات الأخرى في إطار التعايش والتثاقف والإيمان بالحوار والحق في الاختلاف.

تبدو الأزمنة التي حكمت علينا بالانحطاط السياسي والأخلاقي هو صراع من أجل الاعتراف بالأفكار لا بالأجساد. هو التشوق إلى طعم الحرية و الانعتاق من سجن الظلم. إن ظهور فلسفات ما بعد الحداثة هي إعلان لنهاية

عقل قديم وانبثاق عقل جديد قادر وفاعل على التمثل والصمود أمام الواقع المحرج. إنسان فاعل يسعى أن يكون السيد في وطنه. وإننا وان نظرنا إلى واقع الإنسان ألفنا أنه واقع سلطوي بالأساس وان حياة الإنسان فيه تبدأ بالسلطة وتنتهي في إطارها دون أن تنتهي السلطة، ومن ثمة فان الواقع الإنساني هو واقع نفوذ، سلطة، عنف حتى وان توارى وراء خطابات الحرية، العدالة، الحق: وبالتالي فالسلطة تستعص على كل تحديد، محصنة، متمنعة، تتخفى: تطأ عندما تحضر وتقسو حينما تغيب فهي تعلمنا الخشية، الإرعاب، الرهبة و الفزع حضورا أو غيابا.

إن السلطة هي التأثير الإنساني الذي نتحمله ونخضع له أو نمارسه. بمعنى هي إنسانية بالضرورة قد تزعجنا إذا كانت للآخرين وقد تبهجنا إذا كانت لنا كل ذلك تمارسه السلطة في الموقع الذي تعرف بالجسد الاجتماعي الذي يحمل أثارها ومفاعيلها وتحفر فيه أخاديد لا تمحى وهو الذي يجعلها تتحرك بحركته وتأخذ هيأته لتكون نسيجا متشابكا.

لقد تبين لنا بأن السلطة ظاهرة ملازمة للوجود المدني، السياسي وإنها مبثوثة في شتى المجالات بما في ذلك الميدان المعرفي إذ تعترضنا حيثما ولينا وجهنا، مستخدمة أجهزة وأنظمة ومعايير إيديولوجية تجمع بين الترغيب والترهيب من ناحية وبين الحق والقوة ، وبين العنف و اللاعنف من ناحية أخرى.

لكن إذ انظرنا لمسالة حقوق الإنسان التي تتلخص مزايا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حسب حنا أرنت في الاعتراف بالإنسان كأساس وحيد لكل تشريع قانوني وغاية قصوى له مما يفترض إبطال كل أشكال التشريع القائمة على أسس متعالية عن الإنسان مثل الحقوق القائمة على مبدأ "الحق الإلهي"

أو على مبدأ "الحق الطبيعي" وعلى هذا النحو يسجل هذا الإعلان خطوة رائدة على مسار التقدم نحو مزيد من الحرية والكرامة الإنسانية.

و الارتكاز على مفهوم مثالي للإنسان الفاعل ينبذ كل أشكال التميز بين البشر على أساس الجنس أو اللون أو الرأي أو العرق الدين أو اللغة ولهذا السبب فإن الحقوق التي يتضمنها هي حقوق مطلقة ولا مشروطة وصالحه لكل زمان ومكان وفي أي تنظيم أو وضع سياسي.

غير إن حنا آرانت تربط بين احترام حقوق الإنسان وبين شكل الحكم لان حقوق الأفراد لا يمكن عمليا أن تحترم إلا في ظل نظام سياسي يقوم على حق الشعب المطلق على حكم نفسه بنفسه وتقرير مصيره.بمعنى إن شرط احترام وتطبيق حقوق الإنسان كما صاغها الإعلان, حسب آرانت هو قيام النظام الديمقراطية الذي يعكس حق الشعب في حكمه لنفسه ذلك لان إخراج حقوق الإنسان من طابعها الكوسموبوليتي ومنزعها الصوري وتوفير حظوظ اكبر لتطبيقها واقعيا هو رهين ارتباطها بمبدأ حق الشعب في تقرير مصيره وحكم نفسه بنفسه.

فهل نعيش، أزمة معنى أم أزمة حضارة؟ إن العالم الذي نحيا فيه يمكن اختزاله في مجتمعات "منغلقة وأخرى منفتحة وثالثة تتلمس طريقها" و من ثمة يمكن التمييز بين المجتمعات انطلاقا من درجة انفتاحها "مجتمع قائم على أساس المواطنة والحرية والعيش المشترك وعلى الفردية والذاتية وحرية الاختيار المؤسسات والقيم إبداعات إنسانية، الفكر النقدي يمارس بكل حرية دائم المساءلة لذاته، الفرد قيمة عليا، تحديد الفرد لاختياراته الشخصية". بهذا يجدر القول أن ما يعطي للحياة معنى حقيقي هو ارتباطها بالقيم. من ثمة فإن من مقتضيات العيش مع المجموعة تتطلب التفكير في مسألة القيم الأخلاقية باعتبار أن العيش داخل المجتمع إنما يتأسس من خلال وحدة المعايير الأخلاقية وانسجامها. إن القول بوضع الإنسان للقيم هو" أمل فلسفي" يريد أن يجعل

الإنسان كائنا راقيا بحق، وطبيعة هذه القيم هي أن تكون عامة. الإنسان في هذه المقاربة واضع للقيم لأنه بناء على إرادته الحرة نموذجا مدنيا يضمن تجسيم الجوهر الإنساني ألا وهو الحرية.

3. خاتمة:

لقد شكل الإنسان الفاعل هاجسا فلسفيا مع اختلاف في تنزيله و التفكير فيه. و على هذا الأساس نجد المفكر "إدوارد سعيد"، موضحا مفهوم الفعل بقوله: "لسنا بالمخربشين ولا بصغار الكتبة، وإنّما عقول تتحول أفعالها إلى جزء من التاريخ البشري الشامل الذي يُصنع حولنا." (إدوارد سعيد، الأنسنية والنقد الديمقراطي, ص 90). أضف إلى ذلك قول أستاذنا البشير ربوح مؤكد بمقال له بأن:« الفعل الصادق هو الذي يضعنا في قلب التاريخ، ويمنحنا شحنة وجودية نتحمل بها نوازل الزمن، ونطمح في أفق جديد وطريف».

إجمالا، الفلسفة تسعى إلى تحرير الإنسان من مكبلاته وتوسيع قدرته ومجال فعله لكن توسيع المجال والقدرة والفعل تهدده دائما منزلقات العنف و اللامعنى شأن ما تهدد الحرية إمساخات الأنانية. ومن ثمة، ألسنا بحاجة إلى مراجعة نقدية,ألم يحن الوقت لتفكير لتحقيق إنسانية الإنسان دون اعتبارات إيديولوجية؟ ألم يحن الوقت لنبدع إنسان جديد, إنسان بهوية عربية فاعل من شأنه أن يجعلنا نحتفل بالحياة.

المصادر و المراجع المعتمدة

- *A Treaste of Human Nature* (1739 : book 2, L.A.Selby-Bigge, Bing an Attempt to introduce the experimental Method of Reasning into Moral Subjects), Oxford 1ére éd. 1888, *Traité de la Nature Humaine* (1739-1740), *Essai pour introduire la méthode expérimentale dans les sujets moraux*, Hume ; trad.préf. Et notes d'André Louis Leroy, Aubier, Paris 1958.

- Deleuze (Gilles), *Empirisme et Subjectivité* : Essai sur la nature humaine selon Hume. PUF, Paris, 1953.

- Michaud (Yves*), Hume et la fin de la philosophie*, PUF, Paris, 1983.

- Malherbe (Michel) *La philosophie empiriste de David Hume*, librairie philosophique J. Vrin, Paris, 1984.

- Malherbe (Michel), *Essais et traité sur plusieurs sujets : Essais Moraux, Politiques Et Littéraires*, 1ére partie, Vrin, Paris 1999.

- ديكارت، *التأملات الميتافيزيقية*، التأمل الثاني، ترجمة عثمان أمين، ص 96-98

- زكريا إبراهيم، *مشكلة الانسان*، مكتبة مصر، القاهرة،1959

المعاجم :

المعاجم باللّسان الفرنسي :

- LA LANDE André, *Vocabulaire Technique et critique de la philosophie*, Paris, PUF, 11eédition, 1972.
- *Dictionnaire d'Ethique et de Philosophie Morale*, publié sous la direction de MONIQUE CANTO-SPERBER, PUF, 1ere édition, octobre, 1996.
- *Encyclopédie philosophique universelle*, (Les Œuvres philosophiques, André Jacob, PUF, 1991
- *Encyclopédie philosophique universelle* : *Les Notions Philosophiques.* Dictionnaire 1+2 publié sous la direction d'André Jacob, PUF, 1991.

- *Dictionnaire de Philosophie politique*, Philippe Raynaud et Stéphane Rials, PUF, 1996

المعاجم باللّسان العربي :

- جميل صليبا، *المعجم الفلسفي*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982حنفي عبد المنعم، *المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفيّة*، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط3، 2000.

- طرابيشي جورج، *معجم الفلاسفة*، المناطقة، المتكلمون، اللاهتيون، المتصوّفون، بيروت، دار الطليعة، ط1، 1987، الطبعة المنقحة سنة 1997.

-*الموسوعة الفلسفية*، وضع لجنة من العلماء الأكاديميين، السوفياتي، إشراف م.رونتال، بوذين، ترجمة سمير كرم، بيروت، دار الطليعة، 1997.

-*الموسوعة الفلسفية العربية*، معهد الانماء العربي، لبنان، 1986

- عبد الرحمان بدوي، *موسوعة الفلسفة*، الجزء الثاني، مادة دافيد هيوم، للمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984